



النصر - الإصلاح - الأمن

(012) سورة يوسف

محاضرة

2025-01-27

سورية

دمشق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.
اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين.

مقدمة:

أيها الإخوة الأحباب: الحقيقة الكثير مما يقال بعد الغياب، وأوله هو شوقي لكم ومحيتي لكم جميعاً، أنتم الأهل والإخوة والأحباب وأصحاب الفضل، بارك الله بكم وحفظكم.
وثانياً: ما أكرم الله تعالى به أمتنا من وقف هذه الحرب، حرب الإبادة التي كانت تُشن، وما تزال لكن خفّ أوارها ولله الحمد على أهلنا غزّة، كذا ندعوا الله عزّ وجل دائماً، ندعوه بالنصر، ندعوه بالفرح، ندعوه بوقف شلال الدم، ندعوه بثبيت أهلنا في غزّة، غفر الله لنا، كذا نطرح أنّ الله تعالى لا يستجيب لنا، لكن الله عزّ وجل كان يقول لدعواتنا لأنصرك ولو بعد حين، غفر الله لنا كذا على يقين من وعد الله تعالى، ولكننا غفلنا عن صدر الآية:

بِئْسَ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
قَاضِي إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْتَحِقُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (60)

(سورة الروم)

فاستعجلنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأْرَبُكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (37)

(سورة الأنبياء)

فيا ربّي اغفر لنا عجلتنا، لكن الله عزّ وجل يُعَدُّر الأمور كما يُعَدُّر الليل والنهار، ومتى شاء جلّ جلاله أوقف الحرب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَدْعُوا حَيْثُا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيًّا (25)

(سورة الأحزاب)

وذهبوا بغيظهم.

واليوم على أنقاض البيوت المُدَّهَرَة، عاد أهلنا في عَزَّة في شمالها رغم أنوفهم، ولم يُهَجَّرُوا رغم أنوفهم، ولم يقضوا على المقاومة رغم أنوفهم، ولم يُحرِّروا أسراهم إلا بالتفاوض رغم أنوفهم، فكم استجاب الله تعالى من دعواتنا، ونحن نقنت في الصلوات وبعد الصلوات، وكم كتب لنا من الأجر هذه علمها عند ربّي، ولا يُقَارَن ما كتب لنا من أجر، بما كتب لهؤلاء الصابرين المرابطين من أجر أعظم وأكبر، وكله يوم القيامة سنجد عند الله كجبل أُحُد، وسنجد من تقصيرنا في صنعنا، نسيال الله أن يغفر لنا كل تقصير، وكل طغى طغناه في غير محله، وكل ياسي تسرّب إلى قلوبنا، ونسأل الله تعالى أن يُعِم بالفترج الكامل الشامل لأهلنا في عَزَّة، وفي فلسطين عموماً.

الله تعالى ناصر دينه:

الأمر الثاني: سورية بلاد الشام المباركة الطاهرة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم:

{ إِي رَبُّنَا كَأَنَّ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتَرَعَ مِنْ تَحْتِ وَسَادَتِي، فَأَتَيْتُهُ بَصْرِي، فَإِذَا هُوَ نُوْرٌ سَاطِعٌ، عُْمِدٌ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، أَلَا وَإِنَّ

الإيمان إذا وَقَعَتِ الْفِتْنُ بِالسَّمَاءِ. }

(أخرجه أحمد والطبراني)

هذه الأرض المباركة، التي كانت أيضاً تحت استبداد وإجرام طويل الأمد، ستة عقود، ثم أيضاً شاء الله تعالى أن يجلو العُمة، نسأل الله أن يُنمِّم الفترج، يا ربّي كما أنعمت فنمّم، فأيضاً هذا كان مترافقاً مع نصر إخواننا في عَزَّة، وكان هذا الطوفان أبا إلا أن يصل خبره ومداه إلى أوسع مدى ممكن، وهذا يجعلنا نستشرف إن شاء الله، مستقبلاً طيباً خيراً بإذن الله، وأن نستذكر دائماً أننا لا ينبغي أن نقلق على دين الله، لأنّ الله تعالى ناصره، ولكن ينبغي دائماً أن يكون قلبنا في مكاننا في نُصرة الحق، هل نحن ننصر الحق أم والعباد بالله نخذله مع من خذل؟

في دمشق بعد غيابٍ لأربعة عشر عاماً خلت، خطبت ثلاث خطب في دمشق، وأريد أن أطلعكم على فحواها كاملةً من خلال مُلَخَّص.

الخطبة الأولى وليست الخطبة، الخطبة أن يذهب الإنسان ليخطب، يعني يأتي مكسوراً فُسْمِيَّتِ خطبة، لأنه يذهب مكسوراً قد يُقْبَل وقد يُرَدُّ، أمّا الخطبة بالضم، لأنه يعتلي المنبر فيرفع، ومثلها القبلة والقبلة، فالقبلة بالضم كما قبّلتكم قبل قليل بعد سفر، والقبلة بالكسر لأنك لا يمكن أن تقف في القبلة إلا مكسوراً بين يدي خالقك حتى يقبلك، فأنا كنت في الخطبة وليس في الخطبة، فخطبت ثلاث خطب.

يجب علينا أن نقف جميعاً في الصف ونسد الخلل:

في الخطبة الأولى، تحدثت عن فكرة، طبعاً بدأتها بحمد الله تعالى على ما أنعم وتفصّل، قلت في مطلعها:

الحمد لله على كل ابتسامية، افتتحتها نعر إنسان في مشارق الأرض ومغاربها، فرحاً بزوال الطغاة، واستبشاراً بمستقبل أفضل لبلادنا وأمتنا.

الحمد لله على فرحة كل أم فرحت بانبها المعتقل، بعد أن طرّق أنه لن يرى نور الشمس ثانية.

الحمد لله على نعمة الرضا، التي أسبغها الله على قلوب الأمهات التكالي والأرامل والأطفال.

ثم تحدثت عن فكرة، بأننا اليوم وهذا ينطبق على سورية والأردن وكل بلاد العالم الإسلامي، نحن اليوم في صفٍ واحد، وحالنا اليوم يشبه حالنا في صف الصلاة، نحن إذا دخلنا إلى المسجد لنصلي، أولاً لنا أجر أعظم في صلاة الجماعة، نُصلي جماعة، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، بَضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ لَا يَتَهَرَّجُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَخُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْسِبُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُخْذِ فِيهِ. { (أخرجه البخاري ومسلم)

وكنت أتأمل لماذا لم يقل صلى الله عليه وسلم تزيد في الأجر، وإنما قال تزيد بالمطلق؟ ففهمت من ذلك أنها تزيد زيادة في داخلها غير زيادة الأجر، يعني هي طبيعتها زائدة، كيف؟ أنت عندما تُصلي في الحرم المكي، الصلاة بمئة ألف صلاة في الأجر، لكن حتى أنت عندما تقف تقول: فعلاً هذه الصلاة بمئة ألف صلاة، يعني هي فعلاً بما حصلته منها، تعادل مئة ألف صلاة في بلدك، بالجو الروحاني، بالمكان الطاهر، برفق النفس الذي عندك، تشعر أنّ لها قيمة أكبر، فهي تزيد فعلاً، فصلاة الرجل في المسجد تزيد ليس في الأجر فقط، بكل شيء، هي طبيعتها أنها زائدة، تلتقي بإخوانك، تُسلم عليهم، تُكثر سواد المسلمين، تذكر الله بعدها، تخرج من المسجد بالأذكار، تلتقي إخوانك تسألهم، تطمئن عن أحوالهم، يُهين الله لك عملاً صالحاً على باب المسجد، هي في حد ذاتها زيادة على الوضع الذي في البيت، وطبعاً زيادة في الأجر أيضاً، فنحن ينبغي أن نكون في الصف، في الجماعة، الآن إذا دخلت إلى المسجد، فانت أمام ثلاث حالات، الحالة الأولى أن تجد الصف غير مُكتمل فلا بُدَّ أن تكمله.

حال المؤمن في مجتمعه كأنه في صف الصلاة:

{ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى رجلاً يصلي خلف الصف وحده فأمره أن يُعيد الصلاة، وقال: لا صلاة لمنفرد خلف الصف. { (أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي)

يعني إذا في الصف عشرة مُصلين، وهو يتسع لعشرين، ووقفت تُصلي وحده، قال صلى الله عليه وسلم: (لا صلاة لمنفرد خلف الصف). إذاً: إذا وجدنا الصف مستويًا ينبغي أن نمده، أن نكمله، وإذا وجدنا فيه خللاً فُرجة، ينبغي أن نُسدّها.

{ أقيموا الصفوف، و حادوا بين المناكب، وسدوا الخلل، و لينوا بأيدي إخوانكم، ولا تدروا فُرُجَاتِ للشيطان، ومن وصل صفًا وصله الله،

ومن قطع صفًا قطعه الله {

(أخرجه أبو داود وأحمد والطبراني)

فلا بُدَّ أن تدخل وتسدَّ الخلل.

إذا وجدت الصف معوجًا قال: (ولينوا بأيدي إخوانكم).

{ إِنَّ الدِّينَ بُسْرٌ، وَلَنْ يُنَادِيَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا عَلَيْتَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّجَةِ. {

(أخرجه البخاري ومسلم)

يجب أن تأخذ بيد أخيك وتستقيم في الصف.

فقلت في هذه الخُطبة، نحن نمُدُّ الصف إذا استقام، ونملأ الفراغ عند وجوده، ونقوم الصف عند اعوجاجه، يعني هذا حال المؤمن في مجتمعه، كأنه في صف الصلاة، إذا الصف مستقيم فف مع الناس، أكمله، ما الذي ينقص؟ إذا كانوا خمسة اجعلهم ستة، إذا كانوا ستة اجعلهم سبعة، كثر سواد المسلمين، كثر الصف، بوجدسة تجار ينفقون، قل لهم أنا الساب معكم، اجعلوا القسمة على سبعة، أنا أساعدكم، هناك طبيب و يوجد عشرة أطباء، ساكون الحادي عشر تُعالج مع بعضنا، أرسل لي مريضاً أعالجه مجاناً مثلاً، كل واحد في مكانه، فنمُدُّ الصف عند استقامته، كثر السواد، الأمة بحاجة كبيرة.

إذا وجدت فراغاً أملاً، لا تقل غيري يملأه، أنت إملاًه، أنت احتل المكان، اليوم في أمنا لا مجال للتواضع الموهوم، يعني أنا لا أدخل، إذا لم ينادوني لا آتي، يجب أن تحتل الصف، الفراغ احتله، أنت دخلت فوجدت شيء ناقص، أكمله ولا تقل هذه ليست مهمتي، نملأ الصف، صل الصف عند فراغه، أملاه.

بروي للطرفة أنّ هناك شخصٌ مستلقي على شاطئ بحر، وقد ملأ جسده العقارب، مئة عقرب متجمعون، ويقال أنه لم يلدغه أيُّ عقربٍ منها لماذا؟ لأنَّ كل عقرب كان يقول غيري أولى بهذه المهمة، سيلدغه غيري، فلم يلدغه شيء، ونجا الرجل من غير لدغة العقرب.

لا بُدَّ من أن نملأ الصف عند فراغه، عندما تجد فراغاً أملاً.

عند الاعوجاج تُصَحَّح الخطأ وتَمَلأ الفراغ وتُكَمَل الصف:

والأمر الثالث: إذا وجدت اعوجاجاً قوّمه، قال صلى الله عليه وسلم: **(لينا بأيدي إخوانكم)** استنوا، فرنا جلّ جلاله يُحب الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُتَّانٌ مَّرْصُومُونَ (4)

(سورة الصف)

فلا بُدَّ إذا وجدت اعوجاجاً في الصف، أن تُبادر إلى تصحيح الخطأ، تُصَحِّح الخطأ، وتَمَلأ الفراغ، وتُكَمَل الصف، هذه هي الفكرة.

ثم تحدثت في الخطبة الأولى، قبل أن أخرج من دمشق، في بداية 2012، ألقى خطبةً كانت الأخيرة أو قبل الأخيرة لي، بعدها مُنعت من الخطابة بشكل كامل، ذكرت فيها قصتين، وكان لهما طعمٌ خاص في ذلك الوقت، يعني أقولهما بخوفٍ ووجل، فأحببت أن أعيدهما على المنبر ذاته، لكن بغير خوفٍ ولا وجل، وسبحان الله تحقّق ما فيهما بعد أربعة عشر عاماً.

القصة الأولى التي ذكرتها: أنّ رجلاً كان يطوف بالبيت ويقول: يا ربِّ اغفر لي ولا أظنك تفعل، فقال له أحدهم: يا هذا ما أشدَّ بأسك من رحمة الله، ما هذا الدعاء؟! قال: إليك عني فإنك لا تعلم ذنبي، قال: وما ذنبك؟ قال: كنت جندياً في قمع فتنة، فأبيحت لنا المدينة ومن علق سوطه على بيتٍ فله ما فيه، يشبه الحال تماماً ما جرى في سوريا في العشر سنوات الأخيرة، قال: فعَلقت سوطي على بيتٍ ودخلته، فإذا فيه امرأةٌ وزوجها وابنها، فقلت: هاتي ما عندك، فأعطتني ما عندها فقتلت زوجها، ثم لَمَّا رأنتي قد هممت بقتل الأولاد، ذهبت فأحضرت لي درعاً مُذهبةً، فاطلعت فيها فإذا فيها بيتان من الشعر:

قال: فألقيت الدرع، وهيمت على وجهي، وجئت إلى بيت الله كما ترى.

القصة الثانية: أنّ الأسرة البرمكية لَمَّا انتهت ملكها، سُجن جعفر البرمكي، أبو جعفر وابنه، فقال له ابنه وهو في السجن: يا أبتِ إلى هذا الحال بعد العزِّ والجاه، هنا صرنا؟! فقال له والده: يا أبتِ لعلها دعوة مظلومٍ سرت بليلاً، غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها، ثم أنشأ يقول:

أمتنا اليوم بحاجة إلى الإصلاح:

في الخطبة الثانية تحدثت عن قضية الإصلاح، وهو أن مجتمعنا اليوم بحاجة إلى الإصلاح، وذكرت أنّ الإصلاح هو الكلمة التي جاء بها الأنبياء، ليصلحوا ما أفسده الناس، وذكرت فيها أنّ الإصلاح على نوعين: أن يُصلح الإنسان علاقته بربه، وعلاقته بالناس من حوله، لذلك يتكرّر في كتاب الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55)

(سورة المائدة)

(يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) لإصلاح العلاقة بالله، فلن تصلح العلاقة مع الله إلا بالصلاة به، وأعظم الصلاة به أداء الصلوات على وقتها، فالعلاقة مع الله لا تصلح إلا بالصلاة بالله، تتصل به فتصلح علاقتك به، تنقطع عنه والعباد بالله لمن ينقطع، فتسوء علاقته بربه ثم بالناس من حوله.

وأما **(وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ)** فهي لإصلاح علاقتك مع الناس من حولك، بالإحسان هو إصلاح العلاقة مع الناس.

وأما إصلاح المجتمعات فيكون، عندما يؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر، والأمة حين تترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تفسد، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110)

(سورة آل عمران)

يعني كان الترتيب الذي في البال أن يُقال: تؤمنون بالله لأنّ الإيمان هو الأصل، ينتج عنه وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، لكنه قدّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّ هذا هو علة الخير، فلو كان الإيمان موجوداً لكن لم يؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر، فانتتم لستم خير أمة، خيريتكم في أنكم إذا رأيتم معروفاً تُبشرونه وأمرتم به، وإن رأيتم منكراً نهيتكم عنه، وقتلتم هذا منكراً لا نرضاه، على أساليب النهي عن المنكر المعتمدة.

الله تعالى لا يُصليح عمل المفسدين وأصل الفساد في الأرض سوء تصرف البشر:

وذكرت فيها أنّ من سُئِن الله تعالى في خلقه، سُئِنين ذكرهما الله تعالى في كتابه، الأولى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا أَقْبُوا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السُّحْرُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَابِقُ الْعَمَلِ الْفَاسِدِينَ (81)

(سورة يونس)

فالله تعالى مهما وجدت المُفْسِد في الأرض له مكانة، وله قوة، وله جبروت، فإنَّ الله تعالى لا يُصليح عمله أبداً، معاذ الله. والأمر الآخر في الإصلاح، ذكرت أنّ أصل الفساد هو سوء في تصرُّف البشر في الكون، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طَهَّرَ الْفَسَادَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)

(سورة الروم)

يعني اليوم إذا أحضرت سيارة ألمانية موديل 2024 مرسيدس، ونظرت إليها، هذه السيارة كما صنعت من الشركة، لا يوجد أصوات مزعجة، ولا يوجد دخول هواء وماء عليها، ولا يوجد أي خدش فيها، إذا شخصٌ مُتَهَوِّرٌ قادها بتَهَوُّرٍ وسقطت في الوادي، فرأيتها بعد أن عُجِنَتْ عَجناً، لا يجيئ لك إن تقول: ما هذه الشركة الصانعة؟ انظر إلى السيارة! هي لم تصنعها هكذا، هي صنعتها بأحسن حال، لكن تصرَّفك السيء فيها أدى إلى الإفساد (طَهَّرَ الْفَسَادَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) لم يقل بما خلق الله، معاذ الله، قال: (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) ربنا الهواء خلقه نظيفاً، لكننا نرى أنّ الهواء أصبح فاسداً من عوادم السيارات، من المعامل داخل المدن، من سوء الاستخدام يأتي الفساد، اللين كما قال صلى الله عليه وسلم:

{ إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وأبدلنا خيراً منه وإذا شرب لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه و زدنا منه، فإنه ليس شئٌ

يجزى من الطعام و الشراب إلا اللين }

(أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد)

اللين فطرة، عندما اختار النبي في المعراج اللين وترك الخمر قال:

{ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لَيْلَةٌ أُشْرِيَّ بِهِ: لَقِيْتُ مُوسَى، قَالَ: فَتَعَتُّهُ، فَإِذَا رَجُلٌ - حَبِيبُهُ قَالَ - مُصْطَهِرٌ رَجُلُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ سَنْوَةَ، قَالَ: وَلَقِيْتُ عِيسَى فَتَعَتَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: - رُبْعُهُ أَحْمَرٌ، كَأَنَّمَا حَرَخَ مِنْ دِيمَاسٍ - يَغْيِي الْحَمَامَ -، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا أُسْبِتُهُ وَلَدِهِ بِهِ، قَالَ: وَأَبَيْتُ بِإِنَاءَيْنِ، أَحَدُهُمَا لَبَنٌ وَالْآخَرُ فِيهِ حَمْرٌ، فِقِيلَ لِي: خُذْ إِلَيْهِمَا شَيْئًا، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَسَرَبْتُهُ، فِقِيلَ لِي: هُدَيْتُ الْفِطْرَةَ، أَوْ أَصَبْتُ الْفِطْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَحَدْتَ الْحَمْرَ عَوْتُ أُمَّتِكَ. }

(أخرجه البخاري ومسلم)

اللين نفسه يُريح الأعصاب، تشربه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَقَرَىٰ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66)

(سورة النحل)

انْبِ بِنَقْطَةٍ مِنَ الْبَنْزِينِ وَضَعَهَا فِيهِ أَصْبَحَ فَاسِدًا، هَلْ هُوَ خُلِقَ فَاسِدًا؟ لَا هُوَ خُلِقَ صَالِحًا لَكِن لَمَّا وَضَعْتَ بِهِ الْبَنْزِينَ أَفْسَدْتَهُ.

رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ وَجَلَّ خَلْقُ الْمَرْأَةِ صَالِحَةٌ لَكِنِ الْغَرْبُ أَفْسَدَهَا:

الآن المرأة ربنا عزَّ وجلَّ خلقها صالحةً، يعني مُهَيَّئَةً لِلصَّالِحِ، بمعنى أنك إذا رعبتها كائنه، ربحانته في البيت، تركض جارية تجرى بتملاً البيت سروراً، عندما تكبر تصيح أختاً يجيها إختونها، يأتون لها بالهدايا مساءً، يتقربون إليها بالخبر، وهي تخدمهم تُسابق إلى خدمتهم، يعني إجراءات البيت، ثم تكبر فتتزوج فتصبح أمًّا، لها المكانة العليَّة في البيت، يُجيبها أبناؤها، يُغفِّلون يدها، ثم تكبر أكثر فتصبح جدةً، لها صدر البيت يتسابق الأبناء إلى تقبيل رأسها والأحفاد، هذه مسيرة حياة الفتاة كما أرادها الله، كيف أفسدها الغرب؟ أو بعض الشرق، قالوا لها: لا يوجد طاعة زوج، وأنت حرة، وأنت تتزيني لمديرك في العمل وليس لزوجك، ثم جعلوها سلعةً، سنضع صورتك بطريقةٍ مَلْفِتَةٍ لِلنَّظَرِ على سلة القمامة، من أجل أن يشتروا سلة القمامة، أو بالمحلات معروضات تعرضي، أو على غلاف المجلة، يعني سلعوها ففسدت، ربنا ما أرادها هكذا، ربنا أرادها أمًّا، أختاً

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم : **استوصوا بالنساء خيراً** فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع

أعلاه فاستوصوا بالنساء خيراً }

(متفق عليه)

{ قال أنبيُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ إني أريدُ الجهادَ في سبيلِ اللَّهِ تعالى، فقال أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ فقلتُ: نعم، فقال: **الزم**

رجلها فتمَّ الجنَّة. }

(أخرجه الطبراني)

أعطائها أعظم مكانةٍ، أعطائها أن تعمل لكن ضمن الشرع، لَمَّا جاء الإعلام أفسدها لأنه أخرجها عن مهمتها، فالإصلاح هو أن تبقى على منهج الله تعالى، أن تبقى الأشياء كما أرادها الله تعالى، من غير خروج عن المنهج.

الأمن نوعان: أمنٌ نفسي وأمنٌ مجتمعي:

وفي الخطبة الثالثة تحدثت عن الأمن، وقلت لهم إِنَّ الْأَمْنَ فِي بِلَدِنَا فِي سُورَةِ قَدْ شَوَّهَ، بحيث إذا قالوا رجلٌ أمن، أو فرع أمن، ترتعد فرائض الإنسان، يعني شوَّهوا حتى الكلمة، ليس هناك أبداع من كلمة أمن، أصبحت عندنا مصدرًا للخوف، في كل البلاد أنت تقول الحمد لله كان رجال الأمن موجودين، فُنُسِّرُ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ الْمُنْطَقَةُ أَمْنَةٌ، نحن عندنا رجال الأمن موجودين إِنَّمَا لِلسَّرِقَةِ أَوْ لِلنَّهْبِ فِي بِلَدِنَا، فنشوَّهوا الكلمة، فقلت لهم الأمن نوعان: أمنٌ نفسي وأمنٌ مجتمعي، الأمن النفسي بداخلك، حتى تكون أنت آمنًا، لا يتحقق إلا بإيمان وتوحيد، ودليل ذلك قول الله تعالى على لسان إبراهيم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَفَىٰ أَخَافُ مَا أَسْرَكْتُمْ وَلَا حَافِيُونَ أَنْتُمْ أَسْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۚ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81)
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)

(سورة الأنعام)

ولو قال أولئك الأمن لهم، لاحتمل أن يكون لغيرهم، مثلاً أنا إذا قلت لك الطالب في المدرسة، قد يكون المُعَلِّمُ أيضاً في المدرسة، لكن لو قلت في المدرسة طالب، حصراً وقصر (أولئك لهم الأمن) أي لهم وحدهم ليس هناك أحداً يشاركونهم في الأمن، كيف استحقوا الأمن؟ (آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) أي بشرك، كما فسَّره النبي صلى الله عليه وسلم، لَمَّا نزلت هذه الآية، شوَّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

{ لَمَّا نَزَلَتْ: الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ، سَقَىٰ ذَلِكَ عَلَى الْمَسْلُومِينَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ إِتْمَا هُوَ الشِّرْكَ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لِقَمَانُ لَابْنِهِ: { وَإِذْ قَالَ لِقَمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [سورة لقمان الآية

{ [13

(أخرجه البخاري ومسلم)

إذا أنا تكلمت كلمة ليست في مكانها هذا ظلمٌ للنفس، مرّت امرأةٌ مُتبرّجة فأمعنت النظر إليها، ظلمت نفسي، فالظلم كثير. انظر إلى تفسير القرآن بالقرآن: (الَّذِينَ آمَنُوا) مع توحيدٍ، يعني يرون أنّ يد الله وحدها تعمل، لهم الأمن، أمّا الذي يظن أنّ هناك من يتحكم بالكون، لم ينعم بالأمن، لأنه يريد أن يُرضى هذا الطرف الذي يتحكم بالكون، فيشعر بالقلق دائماً، أرايتم إلى إخواننا في عُرّة؟ كانوا تحت القصف، لكن من كان منهم ونظنهم كذلك والله حسيبهم، من كان مع الله عزّ وجل كان آمناً، وهؤلاء الصهاينة بكل جيروتهم وعتادهم كانوا يخافون منهم، إذاً ما هذه المعادلة الصعبة؟! هو آمن لأنه يشعر أنّه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)

(سورة التوبة)

فأنا لست خائفاً، إذا كتب لي الشهادة فالحمد لله، وإذا النصر الحمد لله، وإذا ربنا عزّ وجل كتب لي المرض، لنا، وإذا العافية لنا، وإذا الغنى لنا، وإذا الفقر لنا، ما قال: قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله علينا، لنا، كله لك فهذا شعورٌ بالأمن.

قصة تُبين كيف يكون الشعور بالأمن النفسي الداخلي:

وذكرت في ذلك قصةً تُبين كيف يكون الشعور بالأمن النفسي، الأمن الداخلي الذي في داخلك، أنّ يزيد بن هبيرة كان والياً على العراقين، في زمن يزيد بن عبد الملك، العراقين هما الكوفة والبصرة، كانتا تُسمّيان العراقين، أضخم مدينتين، فكان ابن هبيرة والياً عليهما في زمن يزيد بن عبد الملك، وكانت تأتيه الكتب أحياناً من يزيد بن عبد الملك، ينظر فيها فإذا فيها يُعذّب عن الحق، فإن نقذ أغضب الله، وإن ترك التنفيذ قد يُغضب الخليفة، وكان الأمراء يستشيرون العلماء، فدعا الحسن البصري وعامر الشعبي، وكلاهما تابعان جليلان، قال لعامر الشعبي: ما تقول في هذه المسألة؟ فقال له الشعبي كلاماً فيه ملاطفةٌ وملاينةٌ ومُسايرةٌ، لعله قال له: أمسك العصا من المنتصف، كما يحب أهل الشام، أهل الشام يجاملون كثيراً، ليس لديهم حسم، وهذا ما أوردهم المهالك، نسأل الله أن لا يُكرّر أهل سورة خطاهم السابق، ثم التفت إلى الحسن البصري، فقال له: وما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: <>.

فسرّ ابن هبيرة سروراً عظيماً، وترك الشعبي ومال إلى الحسن البصري، بكرمه وتُطيبه ويطلب منه الدعاء، ثم خرجا إلى الناس، فاجتمع عليهما الناس في المسجد، ماذا صنع؟ ماذا يريد الوالي؟ إلى آخره.. فقام عامر الشعبي، الأول الذي قال الكلام الذي فيه المُلاطفة قال: أيّها الناس: والله ما قال الحسن لابن هبيرة كلاماً أجعله، كلنا نعرف الكلام الحق، توحيد، عالم جليل، ولكنني أردت فيما قلته وجه ابن هبيرة، وأراد هو فيما قاله وجه الله، فأقصاني الله عن ابن هبيرة، وأدنا الحسن منه، ثم قال: أيّها الناس: <>، أن تؤثّر الله على خلقه، هذا يعمل أمن داخلي مع ربنا عزّ وجل، لذلك قال صلى الله عليه وسلم:

{ مَنْ جَعَلَ الْهَمومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهَمومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أودِيَّتِهِ هَلَكَ }

(صحيح ابن ماجه)

{ اعملْ لوجهِ واحدٍ يكفِكَ الوجوه كُلُّهَا }

(الألباني السلسلة الضعيفة)

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (29)

(سورة الزمر)

يعني شخص عنده مُعَلَّم واحد، وشخص عنده عشرة مُعَلِّمين، هل يستويان مع بعضهم؟ يتعب كثيراً الذي عنده مُعَلِّمين كثر، لأنه إذا أرضى هذا لم يُرضِ الآخر، أمّا إذا رَجُل فإنه يُرضي جهةً واحدة.

فهذا الأمن النفسي لا يتحقّق إلا بالإيمان والتوحيد.

الأمن المجتمعي في المجتمع لا يتحقّق إلا بالعدل:

وأما الأمن المجتمعي في المجتمع لا يتحقّق إلا بالعدل، أنت في أصغر بيت، عندما تُعطي ولد وتُهيئ بقية الأولاد، لم يُعد هناك أمنٌ في البيت، شجناء ومشاكل، حتى بعد وفاة الأب يختلفون الأولاد، لأنّ الكبير أخذ البيت والمعمل والسيارة، هذا مُتكرّر، أحياناً ينجو، يكون الأبناء متفاهمين، الابن الكبير عاقل يهتم بأخوتهم، لكن أحياناً لا، يقول لك هذا حقّي، أنا عندما أعطيت يجب أن أعطي الكل، هناك شيء اسمه عدالة بالتوزيع بحكم العمر، مثلاً أنا عندي ابن بالجامعة وابن بالروضة، لا أستطيع أن أعطي هذا مئة دينار وهذا مئة دينار، هذا مئة من أجل متطلبات الجامعة، وهذا دينار، هذا لا شيء فيه أبداً، لأنّ هذا مصروفات، أمّا سجّلت البيت والمعمل باسمه، وسلمته كل شيء، والباقي لم يبق لهم شيء، مشكلة

{ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ أُمَّي أَبِي بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ لِي مِنْ مَالِهِ، ثُمَّ بَدَأَ لَهَا فَوَهَبَهَا لِي، فَقَالَتْ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَنَا عَلَاةٌ، فَأَتَى بِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَالَ: إِنَّ أُمَّهُ بِنْتُ رَوَاحَةَ سَأَلْتَنِي بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ لِهَذَا، قَالَ: أَلَيْكَ وَوَلَدُ سِوَاةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَارَأَهُ، قَالَ: لَا تُشْهَدُنِي عَلَى جَوْرٍِ وَقَالَ أَبُو حَرِيرَةَ عَنِ الشَّعْبِيِّ، لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍِ. }

(أخرجه البخاري ومسلم)

متى يبدأ القلق والخوف في المجتمعات؟:

متى يبدأ القلق والخوف في المجتمعات؟ بدءاً من الأسرة، عندما لا يكون هناك عدل، لذلك العدل بين الأولاد حتى في القُبل مطلوب، أحياناً يكون هناك ولدٌ المعوي، دائماً يكون في حضنك وتضمّه، وأخوه الأصغر منه أو التوأم تاركه، تنشأ عنده مشكلة، ثم بالشركة، بالمعمل، بين الموظفين، المدير الذي يُقرّر يقول لك هذا ابن خالتي أرسلته الوالدة لي وقالت اعطني به، لا تلزمه بدوام، متى شاء يأتي، ومتى شاء يذهب، هذا لا يجوز، هذا ضعه في البيت وأعطه ما تشاء، لكن أمام الموظفين هذا لا يصح، أن هناك موظف يفعل ما يشاء، والثاني يحاسب على الدققة عند التأخّر.

وإذا انتقلت إلى الولاية العظمى، فلا يصلح أمر الأمة إلا بالعدل، بالوزارات والمؤسسات وإلى الوالي، لا يصلح إلا بالعدل، عندما دخل رسول كسرى إلى سيدنا عمر، قال كلمته الشهيرة، فهمها وهو فارسي قال: "عدلت، فأمنت، فنمت"، نظر إليه فوجده مُستلقياً في أرض المسجد.

هذا كان مُلخّص رحلتي إلى دمشق في الدعوة إلى الله، أسأل الله أن يتقبّل منّي ومنكم.

تحية ثناء وتقدير للأردن الشقيق:

في الختام نحن لن نترك الأردن، الأردن في القلب، ونحن لقينا في الأردن، وأنا الآن أبت مباشر، فقد يسمع سامعٌ فيقول: صار معه إشكال مع أحدٍ في الأردن، فيظن أنني أقول شيئاً أنافق به، حاشا لله أن أفعل ذلك، لا فعلتها ولن أفعلها إن شاء الله، لكن بالعموم أنا شخصياً ومن حولي، ما وجدنا في الأردن إلا كل إكرام في هذه السنوات، وكل محبة من الجميع، قيادةً وحكومةً وشعباً، في كثيرٍ من الدول أصبح هناك حوادث عنصرية، أمّا في الأردن شعبٌ واحد، نعم في بعض الأمور الأمنية هذه لا بُدّ منها لضبط الأمن، لكن بالعموم استقبلنا باحترام استقبال، وارتقينا المنابر، وتحدثنا في المجالس، وأتيح لنا الإذاعة، في بلدٍ ينعم أهله بالخير، أسأل الله أن يديم عليه هذه النعمة وهذا الخير، ليبقى نصيراً يقف في قضايا الأمة، ويقف مع أهلنا في فلسطين، الأردن كانت له وقفة عزٍّ مع أهلنا في غزة، بالمساعدات والموافق، وإن شاء الله يستمر ذلك ويُعزّز وينمو، نسأل الله أن يديم الخير على هذا البلد الطيب، وعلى جميع بلاد المسلمين، وأن ينعم أهلنا في سورية بالأمن التام والكامل إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين